

## بسم الله الرحمن الرحيم

### الفارق بين السنّة الشريفة وروايات الأحاديث

.. من سنّة البشر - في تعاملهم مع منهج الله تعالى - الابتعاد عن حقيقة ما أنزله الله تعالى ، مع مرور الزمن ، واستبدال المنهج الحق بتاريخ يُعطى قُدسيّة هذا المنهج ... هذا ما حصل في تفاعل البشر مع جميع الرسالات السابقة .. يتمّ الجحود أولاً عَبْرَ تغطية حقيقة منهج الله تعالى ، ثم بعد ذلك يتحوّل هذا الجحود إلى منهج يُقدّم على أنّه عينُ منهج الله تعالى .. ( وَجَحَدُوا بِهَا ، وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا ، فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ ) ( النمل : 14 ) ..

.. والفارق بين رسالة الإسلام التي أنزلت إلى البشرية جمعاء ، عَبْرَ الرسولِ مُحَمَّدٍ عليه الصلاة والسلام ، وبين الرسالات السابقة ، أنّ الله تعالى - في رسالة الإسلام - تكفّل بحفظ المنهج ( كنصّ ) إلى قيام الساعة ، وبالتالي لا سبيل إلى تحريف هذا النصّ ( القرآن الكريم ) ، ولا سبيل إلى تحريف الشعائر التي أتت حياةً تعبديةً عاشتها الأمةُ بأكملها ، جيلاً بعد جيل ، بعيداً عن روايات التاريخ ، حتى تلك المنسوبة إلى الرسول عليه الصلاة والسلام ..

.. فالالتفاف الذي تمّ - عَبْرَ التاريخ - على بعض أحكام كتاب الله تعالى ، كان عَبْرَ تلفيق بعض الروايات ونسبها إلى الرسول عليه الصلاة والسلام ، وإدخالها تحت ظلال مفهوم السنّة ، ومن ثمّ عَبْرَ حلولها مكان بعض أحكام كتاب الله تعالى .. هذا الكلام يرفضه رفضاً قاطعاً الغالبية العظمى من المسلمين ، لأنهم لم يقرؤوا التاريخ قراءةً مجردةً عن عصبيةاتهم الطائفية والمذهبية ، ولأنهم وقعوا ضحية الخلط بين السنّة الشريفة ، وبين روايات الأحاديث التي هي في النهاية - كما سنرى - روايات تاريخية فيها من السنّة بمقدار ما تتطابق مع دلالات كتاب الله تعالى ..

.. وهكذا .. تمّ عَبْرَ التاريخ تحويل بعض جوانب المنهج إلى تاريخ ، كما حصل عَبْرَ زعم مسألة النسخ والمنسوخ<sup>(\*)</sup> ، حيث جُمّدت بعض أحكام كتاب الله تعالى ، التي زعموا نسخها ، بعد أن فسّرت تفسيراً خاطئاً .. وتمّ تحويل بعض جوانب التاريخ إلى منهج ، كبعض أحكام العبيد وملك اليمين<sup>(\*)</sup> التي حُسيبت على الإسلام ، والإسلام منها براء .. ولإلقاء الضوء على هذا الخلط بين السنّة الشريفة من جهة ، وبين روايات الأحاديث والتاريخ من جهة أخرى ، لا بُدّ من تعريف السنّة الشريفة ، وحدودها ، ومن ثمّ لا بُدّ من الوقوف عند روايات الأحاديث ، وتبيان آليات وصولها إلينا ..

.. السنّة الشريفة هي ما قاله الرسول عليه الصلاة والسلام وفعّله من تفصيل لكليات النصّ القرآني ، كتفصيله عليه الصلاة والسلام لهيات الصلاة ، وعدد الصلوات ، وعدد الركعات في كلّ صلاة .. حيث توارثت الأجيال هذه السنّة الشريفة ، حياةً تعبديةً ، منذ الجيل الأول حتى الآن ، وستوارثه حتى قيام الساعة .. فهذه السنّة لم تُصبخ واقعاً متحقّقاً في التاريخ عَبْرَ روايات الأحاديث كما يتوهم الكثيرون ، إنّما تناقلتها الأمة بأسرها من جيل إلى جيل عَبْرَ التزام الأمة العملي بهذه السنّة ...

(\*) لقد بيّنت هذه المسألة بشكل مفصّل في النظرية الثالثة ( الحق المطلق ) ..

(\*) ويبيّن هذه المسألة بشكل مفصّل في النظرية الرابعة ( الحكمة المطلقة ) ..

.. فليس من العقل بشيء أن نتصور الأُمَّة تائهة لقرون ، لا تعرف كيف تُصلي وكيف تقومُ بجزئيات شعائرها ، حتى أتى البخاري ومسلم وغيرهم بعد قرونٍ ليعلموها - من خلال أحاديثٍ آحاد - كيف تقومُ بهيات الصلاة ، وعدد ركعات كل صلاة ..

.. وهذه السنّة الشريفه سماها الله تعالى بالذكر .. ( وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ) ( النحل : من الآية 44 ) ، شأنها بذلك شأن القرآن الكريم ( إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالذِّكْرِ لَمَّا جَاءَهُمْ وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ ) ( فصلت : 41 ) .. والذكر ( القرآن والسنّة ) تكفّل الله تعالى بحفظه ( إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ) ( الحجر : 9 ) ..

.. وهكذا فالسنّة الحقّ محفوظة حتى قيام الساعة ، ولذلك نرى أن الأُمَّة من أقصى السنّة إلى أقصى الشيعة متّفقة على هذه السنّة ، ولا خلاف بينهم فيها ... كلهم يصلّون بالهيات ذاتها ، وكلهم يصلّون العدد ذاته من الركعات المفروضة .. لكنّ المشكلة - عند السنّة والشيعة - تكمن في تقديم الروايات التاريخية على أنها جميعها ودون استثناء سنّة يُكفّر من يُحاول تدبّرها حتى وفق معيار كتاب الله تعالى ..

.. فالسنّة الشريفه - إذاً - لا تخرج عن إطار تفصيل كليات النصّ القرآني ، بعد نزول هذا النصّ من السماء .. وهذا يُحتّم علينا أن نُميّز بين عمليّين من أعمال الرسول عليه الصلاة والسلام :

[ 1 ] - هناك أعمال قام بها الرسول عليه الصلاة والسلام كتفصيل لكليات النصّ القرآني ( مثيل الشعائر ) ، وهذه الأعمال هي السنّة التي يجب على الأُمَّة اتّباعها ، وهي المعنيّة بقوله تعالى : ( وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمُ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ) ( الحشر : من الآية 7 ) ..

.. ففي مجيء النصّ القرآني بالصيغة ( وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ ) ، دون الصيغة ( وما آتاكم محمد ) ، دليل على أنّ الأعمال التي تُعدّ سنّة هي فقط الأعمال التي عملها الرسول عليه الصلاة والسلام بوحى من الله تعالى ، دون غيرها من الأعمال التي عملها دون وحي ..

.. لذلك نرى - في كتاب الله تعالى - أن أمر الله تعالى بطاعة حاملٍ منهجه عليه الصلاة والسلام ، وبأخذ المنهج منه ، وبالابتعاد عما ينهى عنه ، يأتي مرتبطاً - دائماً - بصفة الرسالة التي يحملها مُحمّد عليه الصلاة والسلام .. فصفة الرسالة تتعلّق بموضوع الرسالة ، الذي هو القرآن الكريم ، وما يُفصلّه الرسول عليه الصلاة والسلام من كلياته ..

.. فمُحمّد عليه الصلاة والسلام كونه نبيّاً ( وليس كونه رسولاً ) لا يملك صلاحية التشريع خارج النصّ القرآني ، حتّى لنفسه .. وفي الآية الكريمة التالية أكبر برهان لمن يملك ذرّة من عقل أو منطق ..

( يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبْتَغِي مَرْضَاتَ أَزْوَاجِكَ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ) ( التحريم : 1 ) ..

.. فالنبيّ عليه الصلاة والسلام ( يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ ) ، لا يملك صلاحية تحريم ( أو تحليل ) ما يُبينه الله تعالى في منهجه ( القرآن الكريم ) الذي هو موضوع الرسالة ( لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ ) ..

أي أن المُشَرَّعَ هُوَ الرسولُ<sup>(\*)</sup> من خلال إبلاغ القرآن الكريم وتفصيل كلياته للناس .. وفي هذا بيانٌ كبيرٌ بأنَّ السنتَ الحقَّ هي - حصراً - تفصيلُهُ عليه الصلاة والسلام لِكلياتِ النصِّ القرآنيِّ ، وليست كُلُّ أعمالِهِ وأقوالِهِ عليه الصلاة والسلام ، كما يتصوَّرُ الكثيرون ..

[ 2 ] - هناك أعمالٌ قامَ بها النبيُّ عليه الصلاة والسلام دونَ وحيٍّ من السماءِ ( أي قام بها ليس بكونه رسولاً وإنما بكونه نبيّاً ) ، وذلك باجتهادٍ بشريٍّ ، ريثما يُنزَلُ عليه النصُّ القرآنيُّ الخاصُّ بها ، أو أنَّ هذه الأعمالَ لا علاقةَ لها بالتكليف ..

.. فكان عليه الصلاة والسلام يقومُ ببعضِ الأعمالِ موافقَةً لبعضِ أحكامِ أهلِ الكتابِ ، أو موافقَةً لبعضِ الأعرافِ الاجتماعيَّةِ التي كانت سائدةً ، وذلك قبلَ نزولِ النصِّ القرآنيِّ الخاصِّ بهذه الأعمالِ .. فأحكامُ هذه الأعمالِ في الرسالةِ ( القرآن الكريم ) لم تكن مُنزَلةً عليه عليه الصلاة والسلام حين قيامِهِ بتلك الأعمالِ ، وبالتالي فعل تلك الأعمالِ كسبيٍّ وليس كرسول ..

.. وقد بيَّنَ القرآنُ الكريمُ هذه الحقيقةَ .. ففي الآيةِ الكريمةِ التالية دليلٌ على ذلك ..

( عَفَا اللَّهُ عَنْكَ لِمَ أَذْنَتْ لَهُمْ حَتَّى يَتَّبِعَنَ لَكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَتَعْلَمَ الْكَاذِبِينَ ) ( التوبة : 43 ) .. فإذا نُزِلَ النبيُّ عليه الصلاة والسلام لهؤلاءِ عَمَلٌ قامَ به باجتهادٍ بشريٍّ دونَ أيِّ وحيٍّ ، ولا يُمكنُ لعاقِلٍ أن يتصوَّرَ أنَّ اللهَ تعالى أمرَ الرسولَ عليه الصلاة والسلام بأن يأذنَ لهؤلاءِ ، ثم لأمه على ذلك وقالَ له عَفَوْتُ عَنْكَ ، فلا تعملُ ذلك مرَّةً أُخرى ، إلا إذا تبيَّنَ لك الذين صدقوا وعلمتِ الكاذبين ..

.. ورواياتُ الأحاديثِ ذاتها تُبيِّنُ هذا الجانبَ من أعمالِ النبيِّ عليه الصلاة والسلام التي قامَ بها باجتهادٍ بشريٍّ دونَ وحيٍّ من السماءِ .. وفي الحديثِ التالي من صحيحِ مسلم ، رقم ( 4356 ) حسبَ ترقيمِ العالميةِ ، أكبرُ دليلٍ على ذلك :

[ حَدَّثَنَا ..... قَالَ مَرَرْتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِقَوْمٍ عَلَى رُءُوسِ النَّجْلِ فَقَالَ مَا يَصْنَعُ هَؤُلَاءِ فَقَالُوا يُلْقِحُونَهُ يَجْعَلُونَ الذَّكْرَ فِي الْأُنْثَى فَيَلْقِحُ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا أَظُنُّ يُعْنِي ذَلِكَ شَيْئًا قَالَ فَأُخْبِرُوا بِذَلِكَ فَتَرَكُوهُ فَأُخْبِرَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِذَلِكَ فَقَالَ إِنْ كَانَ يَنْفَعُهُمْ ذَلِكَ فَلْيَصْنَعُوهُ فَإِنِّي إِنَّمَا ظَنَنْتُ ظَنًّا فَلَا تُؤَاخِدُونِي بِالظَّنِّ وَلَكِنْ إِذَا حَدَّثْتُمْ عَنِ اللَّهِ شَيْئًا فَخُذُوا بِهِ فَإِنِّي لَنْ أَكْذِبَ عَلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ] ..

.. فقَوْلُ النبيِّ عليه الصلاة والسلام (( فَإِنِّي إِنَّمَا ظَنَنْتُ ظَنًّا فَلَا تُؤَاخِدُونِي بِالظَّنِّ وَلَكِنْ إِذَا حَدَّثْتُمْ عَنِ اللَّهِ شَيْئًا فَخُذُوا بِهِ فَإِنِّي لَنْ أَكْذِبَ عَلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ )) ، يؤكِّدُ أنَّ بعضَ أقوالِ النبيِّ عليه الصلاة والسلام ليست وحيًّا من السماءِ ، وأنَّ السنتَ التي تُطالبُ بها الأمةُ هي فقط التي ينقلها لنا الرسولُ عليه الصلاة والسلام كوحيٍّ من السماءِ يُفسِّرُ كلياتِ النصِّ القرآنيِّ ، لا كاجتهادٍ بشريٍّ .. وهذا ما تُبيِّنُهُ العبارةُ (( وَلَكِنْ إِذَا حَدَّثْتُمْ عَنِ اللَّهِ شَيْئًا فَخُذُوا بِهِ )) من الحديثِ ..

(\*) التمييزُ بين صفتي الرسالةِ والنبوةِ ، وحصَرُ المنهجِ بصفةِ الرسالةِ ، لا يعني أبداً خروجَ دلالاتِ الآياتِ القرآنيَّةِ التي تبدأ بخطابِ النبوةِ : (

يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ ) من ساحةِ التشريعِ .. فكلُّ ما يحملُهُ القرآنُ الكريمُ بأيِّ صيغةٍ وأيِّ خطابٍ كان ، يتعلَّقُ به النبيُّ p من خلالِ صفةِ الرسالةِ ، لا من خلالِ صفةِ النبوةِ .. فعلى سبيلِ المثالِ ، قوله تعالى : ( يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلَابِيبِهِنَّ ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ) ( الأحزاب : 59 ) ، هو جزءٌ من منهجِ الرسالةِ ، التي يحملها الرسولُ ص ، وبالتالي يتفاعلُ مع أحكامِ هذه الآيةِ الكريمةِ كرسولٍ ، وإن كانت بدايةِ الآيةِ الكريمةِ : ( يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ

( .. فهذه الآيةُ قرآنٌ ، والقرآنُ هو موضوعُ الرسالةِ بكلِّ صيغِ خطابهِ ..

.. والحديث التالي في صحيح البخاري ، رقم : ( 5254 ) حسب ترقيم العالمية يؤكد هذه الحقيقة ..

[ حَدَّثَنَا ..... فَقَتَلُوا الرَّاعِيَّ وَسَاقُوا الْإِبِلَ قَبْلَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَبَعَثَ فِي طَلَبِهِمْ فَجِيءَ بِهِمْ فَقَطَعَ أَيْدِيَهُمْ وَأَرْجُلَهُمْ وَسَمَرَ أَعْيُنَهُمْ قَالَ قَتَادَةُ فَحَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ سِيرِينَ أَنَّ ذَلِكَ كَانَ قَبْلَ أَنْ تَنْزِلَ الْحُدُودُ ] .. فالعبارة (( أَنَّ ذَلِكَ كَانَ قَبْلَ أَنْ تَنْزِلَ الْحُدُودُ )) ، تؤكد أن ما فعله النبي عليه الصلاة والسلام - حينما قطع أيديهم وأرجلهم وسمر أعينهم ، إن صححت هذه الرواية - كان باجتهاد بشري دون وحي من السماء ، لأن الحدود لم تكن نازلة ..

.. والحديث التالي في صحيح البخاري ، رقم ( 2278 ) حسب ترقيم العالمية ، يبين لنا أن بعض أقوال النبي عليه الصلاة والسلام ليست وحيًا من السماء ، فقد قالها عليه الصلاة والسلام كبشر لا يعلم الغيب ، ولم يقلها كرسول ..

[ حَدَّثَنَا .... عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ سَمِعَ خُصُومَهُ بِيَابِ حُجْرَتِهِ فَخَرَجَ إِلَيْهِمْ فَقَالَ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ وَإِنَّهُ يَأْتِينِي الْخُصْمُ فَلَعَلَّ بَعْضَكُمْ أَنْ يَكُونَ أَبْلَغَ مِنْ بَعْضٍ فَأَحْسِبُ أَنَّهُ صَدَقَ فَأَقْضِي لَهُ بِذَلِكَ فَمَنْ قَضَيْتُ لَهُ بِحَقِّ مُسْلِمٍ فَإِنَّمَا هِيَ قِطْعَةٌ مِنَ النَّارِ فَلْيَأْخُذْهَا أَوْ فَلْيَتْرُكْهَا ]

.. ولذلك كان رسول الله عليه الصلاة والسلام حريصاً على عدم كتابة أي شيء عنه سوى القرآن الكريم ، وهناك الكثير من الأحاديث التي تؤكد ذلك ، اختار منها الحديث التالي من صحيح مسلم ، رقم ( 5326 ) حسب ترقيم العالمية ..

[ حَدَّثَنَا ..... عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لَا تَكْتُبُوا عَنِّي وَمَنْ كَتَبَ عَنِّي غَيْرَ الْقُرْآنِ فَلْيَمْحُحْهُ وَحَدِّثُوا عَنِّي وَلَا حَرَجَ وَمَنْ كَذَبَ عَلَيَّ قَالَ هَمَامٌ أَحْسَبُهُ قَالَ مُتَعَمِّدًا فَلْيَتَّبِعُوا مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ ] (\*) ..

(\*) بعض الذين يحسبون أنفسهم مدافعين عن السنة الشريفة ، ذهبوا إلى أن الحديث كُتِبَ في عصر الرسول ص ، محتجين ببعض الروايات التاريخية ، من ذلك ما ورد في سنن الدارمي ، حديث ( 484 ) ، أن عمرو بن العاص أوماً إليه النبي ص ياصبعه إلى فيه وقال : ( اكتب فولذي نفسي بيده ما خرج منه إلا حق ) .. وقد ستمى عمرو بن العاص صحيفته الصادقة ..

.. ولو كانوا من الباحثين عن السنة الحق لرسول الله ص ، لعلموا أن هذه الرواية التاريخية ( حسب تفسيرهم لها ) تُناقض الكثير من الروايات الأخرى ، التي تؤكد أن الحديث لم يُكتب أبداً في عصر الرسول ص ، ولا في عصر الخلفاء الراشدين ، فقد ورد في تذكرة الحفاظ ص 5 ج 1 : [ روى الحاكم بسنده عن القاسم بن محمد عن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت : جمع أبي الحديث عن رسول الله ص ، وكان خمسمائة حديث ، فبات ليلة يتقلب كثيراً ... فلما أصبح قال : أي بنية ، هل مني الأحاديث التي عندك ، فجننته بها ، فدعا بنا فحرقها ]

وورد في تقييد العلم ص 52 من رواية محمد بن القاسم أن عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه وقف يخطب في الناس قائلاً : [ أيها الناس ، إنه قد بلغني أنه قد ظهرت في أيديكم كتب ، فأحبها إلى الله أعدلها وأقومها ، فلا ييقن أحدٌ عنده كتاب إلا أتاني به ، فأرى فيه رأيي - قال - فظنوا أنه يريد أن ينظر بها ، ويقومها على أمر لا يكون فيه اختلاف ، فأتوه بكتبهم ، فأحرقها بالنار ، ثم قال : ( أمنية كأمنية أهل الكتاب ) ، كما أنه كتب إلى الأمصار : ( من كان عنده منها شيء فليمحه ) ] ..

.. ثم أين هو الحديث الوارد في كتب الصحاح ، والذي تُشير صياغته اللغوية إلى أنه نُقِلَ من أي صحيفة من الصحف التي يُزعم أنها كُتبت في عصر الرسول ص ، أو في غيره !!! .. إن البحث العلمي الموضوعي الصادق الخادم للسنة الحق ، هدفه تحري الحقيقة ، لا التلبس عليها لإثبات عصبية مسبقة الصنع ..

.. والحديث التالي في مُسندِ أحمد ، رقم ( 10670 ) حسب ترقيم العالمية ، يُبين هذه الحقيقة ..

[ حَدَّثَنِي ..... عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ كُنَّا قُعُودًا نَكْتُبُ مَا نَسْمَعُ مِنَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَخَرَجَ عَلَيْنَا فَقَالَ مَا هَذَا تَكْتُبُونَ فَقُلْنَا مَا نَسْمَعُ مِنْكَ فَقَالَ أَكْتُبُ مَعَ كِتَابِ اللَّهِ فَقُلْنَا مَا نَسْمَعُ فَقَالَ أَكْتُبُوا كِتَابَ اللَّهِ أَمْ حِضُوا كِتَابَ اللَّهِ أَكْتُبُ غَيْرَ كِتَابِ اللَّهِ أَمْ حِضُوا كِتَابَ اللَّهِ أَوْ خَلَصُوهُ قَالَ فَجَمَعْنَا مَا كَتَبْنَا فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ ثُمَّ أَحْرَقْنَاهُ بِالنَّارِ ..... ] ..

.. والحديث التالي في صحيح البخاري ، رقم ( 4631 ) حسب ترقيم العالمية ، يؤكد أن الحديث لم يُكتب عن الرسول عليه الصلاة والسلام حتى توفي ..

[ حَدَّثَنَا ..... قَالَ دَخَلْتُ أَنَا وَشَدَّادُ بْنُ مَعْقِلٍ عَلَى ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا فَقَالَ لَهُ شَدَّادُ بْنُ مَعْقِلٍ أَتَرَكَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ شَيْءٍ قَالَ مَا تَرَكَ إِلَّا مَا بَيْنَ الدَّقَّتَيْنِ قَالَ وَدَخَلْنَا عَلَى مُحَمَّدِ بْنِ الْحَنَفِيَّةِ فَسَأَلْنَاهُ فَقَالَ مَا تَرَكَ إِلَّا مَا بَيْنَ الدَّقَّتَيْنِ ] ..

.. والحديث التالي في صحيح البخاري ، رقم ( 6394 ) حسب ترقيم العالمية ، يؤكد هذه الحقيقة ..

[ حَدَّثَنَا ..... قَالَ سَأَلْتُ عَلِيًّا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ هَلْ عِنْدَكُمْ شَيْءٌ مِمَّا لَيْسَ فِي الْقُرْآنِ وَقَالَ مَرَّةً مَا لَيْسَ عِنْدَ النَّاسِ فَقَالَ وَاللَّهِ لَأَقْلَقَ الْحَبَّةَ وَبَرَأَ النَّسَمَةَ مَا عِنْدَنَا إِلَّا مَا فِي الْقُرْآنِ إِلَّا فَهَمَا يُعْطَى رَجُلٌ فِي كِتَابِهِ وَمَا فِي الصَّحِيفَةِ قُلْتُ وَمَا فِي الصَّحِيفَةِ قَالَ الْعَقْلُ وَفِكَائِكَ الْأَسِيرِ وَأَنْ لَا يُقْتَلَ مُسْلِمٌ بِكَافِرٍ ] ..

.. فوصف علي رضي الله تعالى عنه لما في الصحيفة : ( العقل وفكائك الأسير وأن لا يقتل مسلم بكافر ) ، وضع حداً لأي تأويل تائه قد يستشهد به الذين لا يريدون معرفة الحقيقة ..

.. والحديث التالي في مسند أحمد ، رقم : ( 6686 ) حسب ترقيم العالمية ، يؤكد هذه الحقيقة ، مبيناً أن القرآن الكريم معيارُ الحلال والحرام بعد موته عليه الصلاة والسلام :

[ حَدَّثَنَا ..... خَرَجَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمًا كَالْمُودَعِ فَقَالَ ..... فَاسْمِعُوا وَأَطِيعُوا مَا دُئِبَتْ فِيكُمْ فَإِذَا ذُهِبَ بِي فَعَلَيْكُمْ بِكِتَابِ اللَّهِ أَحِلُّوا حَلَالَهُ وَحَرِّمُوا حَرَامَهُ ] ..

.. وقولهم : إن أمر الرسول عليه الصلاة والسلام بعدم كتابة الحديث عنه ، كان في البداية حتى لا يختلط الحديث بالقرآن الكريم ، هو قول لا يملكون أي برهان عليه ، ويناقض مُجمل الروايات التي تؤكد أن الحديث لم يُكتب أبداً في عصر الرسول عليه الصلاة والسلام ، ويناقض حقيقة صياغة الروايات ، ويناقض المنطق ، فحلُّ مشكلة اختلاط الحديث بالقرآن الكريم ، أهون بكثير من مشاكل إعادة كتابة الحديث عن الرسول عليه الصلاة والسلام بعد قرونٍ من وفاته ..

.. ولو فرضنا جدلاً وتماشياً مع أوهام الذين لا يريدون معرفة الحق ، أن أعمال الرسول عليه الصلاة والسلام كُتبت جميعها بين يديه ، بل وصورت بكاميرا ( فيديو ) ، فإن ذلك لا يعني أبداً أن الروايات التي بين أيدينا كُتبت في العصر الأول ، لأن جميع الروايات التي بين أيدينا تبدأ بالعبارات : حدَّثنا ، أخبرنا ، سمعنا ، ..... ، ولا يوجد حديث واحد يبدأ بالعبارات : هذا ما نقل حرقياً من صحيفة ما كُتبت بين يدي الرسول .. إضافةً إلى أن نقل الحدث الواحد - عبر روايات الأحاديث - بصيغ مختلفة ، ومتناقضة أحياناً ، يؤكد أن الحديث جُمع بالسمع ، لا عن طريق الكتابة ..

.. إذن كان النبي عليه الصلاة والسلام يقوم ببعض الأعمال - كما يؤكد القرآن الكريم والحديث ، كما رأينا - كاجتهاد بشري دون أي وحي من السماء .. وهناك الكثير من الأحاديث تؤكد هذه الحقيقة ، أنقل منها - على سبيل المثال - الحديث التالي

من صحيح البخاري ، رقم ( 3294 ) حسب ترقيم العالمية .. [ حَدَّثَنَا ..... وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُحِبُّ مُوَافَقَةَ أَهْلِ الْكِتَابِ فِيمَا لَمْ يُؤْمَرْ فِيهِ بِشَيْءٍ ..... ] .. ، وأنقلُ منها الحديث التالي من صحيح مسلم ، حديث رقم ( 4307 ) حسب ترقيم العالمية .. [ حَدَّثَنَا ..... وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُحِبُّ مُوَافَقَةَ أَهْلِ الْكِتَابِ فِيمَا لَمْ يُؤْمَرْ بِهِ ..... ] ..

.. ولذلك فإن دلالات الصورة القرآنية التالية ، يُنظر إليها من هذا المنظار الذي بينه الله تعالى في كتابه العزيز ، وأكده روايات الأحاديث ، كما رأينا ..

( وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى (3) إِنَّ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى ( النجم : 3 - 4 )

.. فالذي لا ينطقُ به الرسولُ عليه الصلاة والسلام عن الهوى ، لأنَّه وحْيٌ يُوحَى ، هو القرآن الكريم ، وما يُوحَى من تفسيرٍ وتفصيلٍ لكليات النصِّ القرآني .. أي هو القرآن الكريم والسنة الحق ، وليس كل ما ينطقُ به النبيُّ عليه الصلاة والسلام .. فلا يُمكنُ لعاقِلٍ أن يتصوَّرَ بأنَّ إِدْنَ النبيِّ الذي تُبينُه الآيةُ الكريمةُ التالية وحْيٌ من الله تعالى .. ( عَفَا اللَّهُ عَنْكَ لِمَ أَذْنَتْ لَهُمْ حَتَّى يَتَّبِعِنَا لِكِ الَّذِينَ صَدَقُوا وَتَعْلَمَ الْكَاذِبِينَ ) ( التوبة : 43 ) .. ولا يُمكنُ لعاقِلٍ أن يتصوَّرَ أن قولَ النبيِّ عليه الصلاة والسلام الذي أدى إلى قوله التالي : [ فَإِنِّي إِنَّمَا ظَنَنْتُ ظَنًّا فَلَا تُؤَاخِذُونِي بِالظَّنِّ ] في الحديث الذي رأيناه من صحيح مسلم ، كان نتيجة وحْيٍ من السماء ..... وقوله عليه الصلاة والسلام : [ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ وَإِنَّهُ يَأْتِينِي الْخُصْمُ فَلَعَلَّ بَعْضُكُمْ أَنْ يَكُونَ أَبْلَغَ مِنْ بَعْضٍ فَأَحْسِبُ أَنَّهُ صَدَقَ فَأَقْضِي لَهُ بِذَلِكَ ] في الحديث الذي رأيناه من صحيح البخاري ، يؤكِّدُ الجانبَ البشريَّ في ذاتِ النبيِّ عليه الصلاة والسلام ، ذلك الجانبَ المجرَّد عن الوحي ..

.. وقد أكَّدَ اللهُ تعالى في كتابه الكريم الجانبَ البشريَّ وجانبَ الوحي في ذاته عليه الصلاة والسلام .. ( قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ ) ( الكهف : من الآية 110 ) .. ولذلك فالزعمُ بأنَّ كل ما نطقُ به النبيُّ وحْيٌ من السماء ، يُخالفُ صريحَ القرآن الكريم ، ومجملَ الروايات ..

.. لقد وصلتُ إلينا رواياتُ الأحاديثِ عِبْرَ آليَّةِ تاريخيَّةٍ ، ومن خلالِ بشرٍ تنفاوتُ مدارِكُهُم ومصداقيَّتُهُم ودرجاتُ إيمانِهِم وأهواؤُهُم ، في محاولةٍ لنقلِ الأحداثِ التي حصلتُ في عصرِ الرسولِ عليه الصلاة والسلام ، سواءً الأحداثِ التي تفاعلَ معها النبيُّ عليه الصلاة والسلام و السلام كبشرٍ دون وحْيٍ من السماء ( قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ ) ، أم التي تفاعلَ معها الرسولُ عليه الصلاة والسلام عِبْرَ وحْيٍ من السماء ( يُوحَى إِلَيَّ ) .... وبالتالي لا يمكنُ فصلُ آليَّةِ وصولِ الحديثِ إلينا عن أحداثِ التاريخِ وفتنِهِ ، وعن الصراعاتِ التي تمَّت ما بين وفاةِ النبيِّ عليه الصلاة والسلام وبين عصرِ تدوينِ الحديثِ ..

.. فمصادقيَّةُ الروايةِ المنقولةِ عن الرسولِ عليه الصلاة والسلام تتعلقُ بأمانةِ جميعِ ناقلي هذه الروايةِ منذُ قيامِ الرسولِ عليه الصلاة والسلام بعملِ أحداثِها ، حتى تدوينِها .. وتعلقُ أيضاً بإدراكِهِم لحقيقةِ الحدثِ الذي تحملُهُ هذه الروايةُ ، وتأويلِهِم للأُمورِ باتِّجاهِ أهوائِهِم ومصالحِهِم المذهبيَّةِ ، وخصوصاً أنَّهم - حينما تحدَّثوا عن بعضِ الأحداثِ - لم يكونوا عالمين بأنَّ حديثَهُم هذا سيَدَوْنَ بعد قرونٍ ليُصبحَ نُصُوصاً مقدَّساً ..



.. هذه الأهواء والمصالح المذهبية والقول على لسان الرسول عليه الصلاة والسلام من أجل موقف محدد لا يخلو من المصلحة ، يراها الباحث عن الحقيقة في الحديث التالي ، من صحيح مسلم ، حديث رقم ( 3431 ) حسب ترقيم العالمية ..

[ حَدَّثَنَا ..... فَإِذَا عَيْدُ اللَّهِ بَيْنَ عَمِيْرٍ بَيْنَ الْعَاصِ جَالِسٍ فِي ظِلِّ الْكَعْبَةِ وَالنَّاسُ مُجْتَمِعُونَ عَلَيْهِ فَأَتَيْتُهُمْ فَجَلَسْتُ إِلَيْهِ فَقَالَ كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ..... وَمَنْ بَايَعَ إِمَامًا فَأَعْطَاهُ صَفْقَةً يَدِهِ وَتَمَرَةً قَلْبِهِ فَلْيَطْعُهُ إِنْ اسْتَطَاعَ فَإِنْ جَاءَ آخَرٌ يُنَازِعُهُ فَاضْرِبُوا عُقُقَ الْآخِرِ فَدَنَوْتُ مِنْهُ فَقُلْتُ لَهُ أَتَشُدُّكَ اللَّهُ آتَيْتَ سَمِعْتَ هَذَا مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَهْوَى إِلَيَّ أُذُنِي وَقَلْبِي بِيَدَيْهِ وَقَالَ سَمِعْتُهُ أَذْنَايَ وَوَعَاةَ قَلْبِي فَقُلْتُ لَهُ هَذَا ابْنُ عَمِّكَ مُعَاوِيَةُ يَأْمُرُنَا أَنْ نَأْكُلَ أَمْوَالَنَا بَيْنَنَا بِالْبَاطِلِ وَنَقْتُلَ أَنْفُسَنَا وَاللَّهُ يَقُولُ : **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً عَنْ تَرَاضٍ مِنْكُمْ وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا** ، قَالَ : فَسَكَتَ سَاعَةً ثُمَّ قَالَ أَطْعُهُ فِي طَاعَةِ اللَّهِ وَأَعْصِيهِ فِي مَعْصِيَةِ اللَّهِ ..... ] ..

.. ومسألة التزكية للرجال الذين أخذ عنهم الحديث هي مسألة نسيئة ، خاضعة للطبيعة البشرية التي لا تخلو من العاطفة والهوى والعصية ، فالله تعالى يقول في كتابه الكريم .. ( **فَلَا تَزْكُوا أَنْفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ**

**اتَّقَى** ) ( النجم : 32 ) .. ولذلك نرى اختلافاً بين مخرجي الحديث حول الرجال الذين خرّج لهم هؤلاء المخرجون ، فعلى سبيل المثال نرى أن عدد الذين خرّج لهم البخاري في الجامع الصحيح ولم يخرّج لهم مسلم هو : ( 434 ) شيخاً ، وعدد من احتج بهم مسلم في المسند الصحيح ولم يحتج بهم البخاري في الجامع الصحيح هو : ( 625 ) شيخاً ، وهكذا يكون عدد الذين اختلف في الأخذ عنهم البخاري ومسلم هو : ( 1059 ) (\* ) شيخاً ..

.. وإذا كان النبي عليه الصلاة والسلام لا يعلم المنافقين الذين مردوا على النفاق من أهل المدينة ، والذين كانوا معه في عصر واحد ( **وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُوا عَلَى النِّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ** ) ( التوبة : من الآية 101 ) ، فكيف إذن يستطيع مخرجو الأحاديث الجزم بمصادقية جميع الرجال الذين أخذوا عنهم ، وبأمانتهم وبدقة إدراكهم لما سمعوا ، وبنزاهتهم وتجردهم عن أي عصية ، منذ وفاة النبي عليه الصلاة والسلام حتى عصر هؤلاء المخرجين !!!؟ ..

.. وفي روايات الأحاديث ذاتها ما يؤكد أن النبي عليه الصلاة والسلام لم يكن عالماً بحقيقة الكثيرين ممن حسبهم صادقين ، وممن حسبهم عليه الصلاة والسلام لا يرتدون بعده على أدبارهم القهقري ، فهناك عشرات الأحاديث التي تؤكد هذه الحقيقة ، أختار منها الحديثين التاليين من صحيحي البخاري ومسلم ..

صحيح البخاري .. حديث رقم ( 6098 ) حسب ترقيم العالمية ..

[ حَدَّثَنَا ..... عَنْ ابْنِ شِهَابٍ عَنْ ابْنِ الْمُسَيْبِ أَنَّهُ كَانَ يُحَدِّثُ عَنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ يَرُدُّ عَلَى الْحَوْضِ رِجَالٌ مِنْ أَصْحَابِي فَيُحَلِّثُونَ عَنْهُ فَأَقُولُ يَا رَبِّ أَصْحَابِي فَيَقُولُ إِنَّكَ لَا عِلْمَ لَكَ بِمَا أَجَدْتُوا بَعْدَكَ إِنَّهُمْ أَرْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِهِمُ الْقَهْقَرَى ..... ] ..

(\*) عن كتاب صحيح مسلم بشرح الإمام النووي ، طباعة دار الخير - ج 1 - ص 25 ، نقلاً عن الحاكم أبي عبد الله الحافظ النيسابوري في كتابه ( المدخل إلى معرفة المستدرک ) ..

صحيح مسلم .. حديث رقم ( 4246 ) حسب ترقيم العالمية ..

[ و حَدَّثَنَا ..... سَمِعَ عَائِشَةَ تَقُولُ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ وَهُوَ بَيْنَ ظَهْرَانِي أَضْحَاكِهُ إِنِّي عَلَى الْحَوْضِ أَنْتَظِرُ مَنْ يَرُدُّ عَلَيَّ مِنْكُمْ فَوَاللَّهِ لَيَقْتَطِعَنَّ دُونِي رِجَالٌ فَلَأَقُولَنَّ أَيُّ رَبِّ مَنِّي وَمِنْ أُمَّتِي فَيَقُولُ إِنَّكَ لَا تَدْرِي مَا عَمَلُوا بِعَدَاكَ مَا زَالُوا يَرْجِعُونَ عَلَيَّ أَعْقَابِهِمْ ] ..

.. ثم من قال إن جميع هؤلاء الرجال الذين أخذ عنهم الحديث كانوا ( دون استثناء ) يثقون هم ذاتهم بأمانة بعضهم بعضاً !!!؟ .. أو أنهم ادّعوا لأنفسهم العصمة وعدم الوقوع في الخطأ ، أو أنهم وصّفوا كل ما قالوه وشرحوه ودوّنوه بالمصادقية التي لا يأتيها الباطل من بين يديها ولا من خلفها ... ألا يذكر لنا التاريخ بمختلف مشاربه أن عشرات الآلاف من أعناق الصحابة قُطعت على يد إخوانهم ، من أجل الملك والسلطة ؟ .. ومن لا يريد تصديق التاريخ خوفاً من معرفة الحقيقة ، ليقى غارقاً في مستنقع عصبية المذهبية والطائفية ، نعرض له الأحاديث التالية :

صحيح البخاري .. حديث ( 4153 ) حسب ترقيم العالمية ..

[ حَدَّثَنَا ..... عَنْ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّهُمَا أَتَاهُ رَجُلَانِ فِي فِتْنَةِ ابْنِ الزُّبَيْرِ فَقَالَا إِنَّ النَّاسَ صَنَعُوا وَأَنْتَ ابْنُ عُمَرَ وَصَاحِبُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَمَا يَمْنَعُكَ أَنْ تَخْرُجَ فَقَالَ يَمْنَعُنِي أَنَّ اللَّهَ حَرَّمَ دَمَ أَحِي فَقَالَا أَلَمْ يَقُلِ اللَّهُ وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةً فَقَالَ قَاتِلْنَا حَتَّى لَمْ تَكُنْ فِتْنَةً وَكَانَ الدِّينُ لِلَّهِ وَأَنْتُمْ تَرِيدُونَ أَنْ تُقَاتِلُوا حَتَّى تَكُونَ فِتْنَةً وَيَكُونَ الدِّينُ لِعَبْرِ اللَّهِ ..... ] ..

صحيح البخاري .. حديث ( 4284 ) حسب ترقيم العالمية ..

[ حَدَّثَنَا ..... قَالَ خَرَجَ عَلَيْنَا أَوْ إِلَيْنَا ابْنُ عُمَرَ فَقَالَ رَجُلٌ كَيْفَ تَرَى فِي قِتَالِ الْفِتْنَةِ فَقَالَ وَهَلْ تَدْرِي مَا الْفِتْنَةُ كَانَ مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُقَاتِلُ الْمُشْرِكِينَ وَكَانَ الدُّخُولُ عَلَيْهِمْ فِتْنَةً وَلَيْسَ كَقِتَالِكُمْ عَلَى الْمَلِكِ ] ..

صحيح البخاري .. حديث ( 6581 ) حسب ترقيم العالمية ..

[ حَدَّثَنَا ..... عَنْ حُدَيْفَةَ قَالَ إِنَّمَا كَانَ التَّفَاقُّ عَلَى عَهْدِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَمَّا الْيَوْمَ فَإِنَّمَا هُوَ الْكُفْرُ بَعْدَ الْإِيمَانِ ] ..

صحيح مسلم .. حديث ( 3302 ) حسب ترقيم العالمية ..

[ و حَدَّثَنِي ..... ثُمَّ جَاءَ فَقَالَ هَلْ لَكَ فِي عَبَّاسٍ وَعَلِيٍّ قَالَ نَعَمْ فَأَذِنَ لَهُمَا فَقَالَ عَبَّاسُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَقْضِ بَيْنِي وَبَيْنَ هَذَا الْكَاذِبِ الْأَثِمِ الْغَادِرِ الْخَائِنِ فَقَالَ الْقَوْمُ أَجَلٌ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ فَأَقْضِ بَيْنَهُمْ وَأَرْحَهُمْ ..... ] ..

صحيح البخاري .. حديث ( 334 ) حسب ترقيم العالمية ..

[ حَدَّثَنَا ..... فَقَالَ أَبُو مُوسَى أَلَمْ تَسْمَعْ قَوْلَ عَمَّارٍ لِعُمَرَ بَعَثَنِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي حَاجَةٍ فَأَجَبْتُ فَلَمْ أَجِدِ الْمَاءَ فَتَمَرَّغْتُ فِي الصَّعِيدِ كَمَا تَمَرَّغُ الدَّابَّةُ فَذَكَرْتُ ذَلِكَ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ إِنَّمَا كَانَ يُكْفِيكَ أَنْ تَصْنَعَ هَكَذَا فَضَرَبَ بِكَفِّهِ ضَرْبَةً عَلَى الْأَرْضِ ثُمَّ نَفَضَهَا ثُمَّ مَسَحَ بِهِمَا ظَهْرَ كَفِّهِ بِشِمَالِهِ أَوْ ظَهْرَ شِمَالِهِ بِكَفِّهِ ثُمَّ مَسَحَ بِهِمَا وَجْهَهُ فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ أَفَلَمْ تَرَ عُمَرَ لَمْ يَقْنَعْ بِقَوْلِ عَمَّارٍ ..... ] ..



.. ولذلك فإن مسألة تصنيف الرجال وتحديد من يُعوّل على روايته ، هي مسألة نسبية لا يمكن تجريدُها عن أمزجة البشر وأهوائهم ..... هذا كنهه يؤكد أنّ روايات الأحاديث وصلت إلينا بآلية تاريخية ، عيّر نقل المعاني (\*) للأحداث ، وليس عيّر نقل حرفي مكتوب بين يدي رسول الله عليه الصلاة والسلام كما يتخيّل الكثيرون .. وإنّ معرفة هذه الحقيقة تقرّبنا أكثر من إدراك حقيقة سنّة رسول الله عليه الصلاة والسلام ، ومن معرفة ما لبّس عليه ، لا من الإساءة إلى السنّة الشريفة كما يتوهّم الجاهلون .. ولنختار بعض الروايات من كُتب الصحاح ، لنرى بأمّ أعيننا كيف أنّ هذه الروايات منها ما هو غير صحيح ، ولنرى بأمّ أعيننا كيف أنّ محاولات التوفيق بين الروايات المتناقضة لم تكن بهدف البحث عن حقيقة ، إنّما كانت - في معظمها - بهدف الدفاع عن العصبية المذهبية ، ليس إلا ..

.. لننظر إلى مدّة لبث النبي عليه الصلاة والسلام في مكة المكرمة ، من خلال الأحاديث التالية ..

(\*) ورد في الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع ، ص : 106 : أ [ قال جرير بن حازم ( سمعت الحسن يحدث بالحديث ، الأصل واحد والكلام مختلف ) ، وقال عمران القصير : ( قلت له - للحسن البصري - : إنّنا نسمع الحديث فلا نجيء به على ما سمعناه ، قال لو كنّا نحدثكم إلا كما سمعنا ما حدثناكم بحديثين ، ولكن إذا جاء حلاله وحرامه فلا بأس .. ] ..

وورد في الجامع لأخلاق الراوي ص 106 و تدريب الراوي ص 312 : [ قال مكحول : دخلت أنا وأبو الأزهر على واثلة بن الأسقع ، فقلنا له : يا أبا الأسقع ، حدثنا بحديث سمعته من رسول الله ليس فيه وهم ولا تزيّد ولا نسيان ، قال : هل قرأ أحد منكم من القرآن شيئاً ؟ ، قال : فقلنا نعم ، وما نحن له بحافظين جداً ، إنّنا لنزيّد الألف والواو وننقص ، قال : فهذا القرآن مكتوب بين أظهركم لا تألون حفظاً ، وأنتم تزعمون أنّكم تريدون وتنقصون ، فكيف بأحاديث سمعناها من رسول الله ، عسى ألا نكون سمعناها إلا مرة واحدة ، حسبكم إذا حدثناكم بالحديث على المعنى ] ..

.. وعن الحديث التالي في الصحيحين :

صحيح البخاري حديث رقم : ( 3085 ) حسب ترقيم العالمية : ( حَدَّثَنَا عُمَرُ بْنُ حَفْصٍ حَدَّثَنَا أَبِي حَدَّثَنَا الْأَعْمَشُ حَدَّثَنَا زَيْدُ بْنُ وَهْبٍ حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ حَدَّثَنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ الصَّادِقُ الْمَصْدُوقُ إِنَّ أَحَدَكُمْ يُجْمَعُ فِي بَطْنِ أُمِّهِ أَرْبَعِينَ يَوْمًا ثُمَّ يَكُونُ عَلَقَةً مِثْلَ ذَلِكَ ثُمَّ يَكُونُ مَضْغَةً مِثْلَ ذَلِكَ ثُمَّ يَبْعَثُ اللَّهُ إِلَيْهِ مَلَكًا بِأَرْبَعِ كَلِمَاتٍ فَيَكْتُبُ عَمَلَهُ وَأَجَلَهُ وَرِزْقَهُ وَشَقِيَّ أَوْ سَعِيدٌ ثُمَّ يُنْفَخُ فِيهِ الرُّوحُ فَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ حَتَّىٰ مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا إِلَّا ذِرَاعٌ فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الْكِتَابُ فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ حَتَّىٰ مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا إِلَّا ذِرَاعٌ فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الْكِتَابُ فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ فَيَدْخُلُ النَّارَ ) ..

صحيح مسلم ، حديث رقم : ( 4781 ) حسب ترقيم العالمية : ( حَدَّثَنَا ..... قَالُوا حَدَّثَنَا الْأَعْمَشُ عَنْ زَيْدِ بْنِ وَهْبٍ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ حَدَّثَنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ الصَّادِقُ الْمَصْدُوقُ إِنَّ أَحَدَكُمْ يُجْمَعُ خَلْقُهُ فِي بَطْنِ أُمِّهِ أَرْبَعِينَ يَوْمًا ثُمَّ يَكُونُ فِي ذَلِكَ عَلَقَةً مِثْلَ ذَلِكَ ثُمَّ يَكُونُ فِي ذَلِكَ مَضْغَةً مِثْلَ ذَلِكَ ثُمَّ يُرْسَلُ الْمَلَكُ فَيَنْفَخُ فِيهِ الرُّوحَ وَيُؤَمَّرُ بِأَرْبَعِ كَلِمَاتٍ بِكُتُبِ رِزْقِهِ وَأَجَلِهِ وَعَمَلِهِ وَشَقِيٍّ أَوْ سَعِيدٍ فَوَالَّذِي لَا إِلَهَ غَيْرُهُ إِنَّ أَحَدَكُمْ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ حَتَّىٰ مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا إِلَّا ذِرَاعٌ فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الْكِتَابُ فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ فَيَدْخُلُهَا وَإِنَّ أَحَدَكُمْ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ حَتَّىٰ مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا إِلَّا ذِرَاعٌ فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الْكِتَابُ فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ فَيَدْخُلُهَا ) ..

.. ورد في التفسير الكبير للفخر الرازي ، الكتاب الأوّل ، الجزء الثاني ، ص : 54 ، نصّ يتعلّق بهذا الحديث ، أنقله بحرفيته : [ ..... وحكى الخطيب في تاريخ بغداد عن عمرو بن عبيد أنّه قال : لو سمعت الأعمش يقول هذا لكذبتّه ، ولو سمعت زيد بن وهب يقول هذا ما أحببته ، ولو سمعت عبد الله بن مسعود يقول هذا ما قبلته ، ولو سمعت رسول الله ( ص ) يقول هذا لرددته ، ولو سمعت الله عزّ وجلّ يقول هذا لقلت : ليس على هذا أخذت ميثاقاً .. ] ..

صحيح البخاري .. حديث رقم ( 3614 ) حسب ترقيم العالمية ..

[ حَدَّثَنِي ..... عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ مَكَثَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِمَكَّةَ ثَلَاثَ عَشْرَةَ وَتُوُفِّيَ وَهُوَ ابْنُ ثَلَاثٍ وَسِتِّينَ ] ..

صحيح البخاري .. حديث رقم ( 3284 ) حسب ترقيم العالمية ..

[ حَدَّثَنَا ..... بَعَثَهُ اللَّهُ عَلَى رَأْسِ أَرْبَعِينَ سَنَةً فَأَقَامَ بِمَكَّةَ عَشْرَ سِنِينَ وَبِالْمَدِينَةِ عَشْرَ سِنِينَ ..... ] ..

صحيح مسلم .. حديث رقم ( 4340 ) حسب ترقيم العالمية ..

[ وَ حَدَّثَنِي ..... حَدَّثَنَا ابْنُ عَبَّاسٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تُوُفِّيَ وَهُوَ ابْنُ خَمْسٍ وَسِتِّينَ ..... ] ..

صحيح مسلم .. حديث رقم ( 4335 ) حسب ترقيم العالمية ..

[ حَدَّثَنَا ..... عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَكَثَ بِمَكَّةَ ثَلَاثَ عَشْرَةَ وَتُوُفِّيَ وَهُوَ ابْنُ ثَلَاثٍ وَسِتِّينَ ] ..

صحيح مسلم .. حديث رقم ( 4330 ) حسب ترقيم العالمية ..

[ حَدَّثَنَا ..... بَعَثَهُ اللَّهُ عَلَى رَأْسِ أَرْبَعِينَ سَنَةً فَأَقَامَ بِمَكَّةَ عَشْرَ سِنِينَ وَبِالْمَدِينَةِ عَشْرَ سِنِينَ وَتُوُفِّيَهُ اللَّهُ عَلَى رَأْسِ سِتِّينَ سَنَةً ] ..

.. لا شك أن من يملك حداً أدنى من الوعي والإدراك يرى تناقضاً بين هذه الروايات ، فلا يمكن من خلال هذه الروايات أن نصل إلى نتيجة في معرفة كم عاش النبي عليه الصلاة والسلام ، وكم لبث في مكة .. ويأتي السادة الذين يقدمون التاريخ نصاً مقدساً ، ليبرروا هذه التناقضات ، على حساب العقل والمنطق ، ظانين أنهم بذلك يخدمون سنة رسول الله عليه الصلاة والسلام ..

.. فيحتجون بالنص التالي الذي ورد في شرح الإمام النووي لصحيح مسلم ، في محاولة لتبرير التناقض الذي نراه .. [ واتفق العلماء على أن أصحها ثلاث وستون ، وتأولوا الباقي عليه ، فروايته ستين أقتصر فيها على العقود وترك الكسر ، ورواية الخمس متأولة أيضاً ، وحصل فيها اشتباه ، وقد أنكر عروة على ابن عباس ] ..

فحسب التأويل الذي حصل ، تم إلغاء الكسر ، وهو ثلاث سنوات ، سواء في لبث النبي عليه الصلاة والسلام في مكة ، أم في مدة حياته .. أي قيل لبث عشر سنين في مكة بدلاً من ثلاث عشرة سنة ، وقيل عاش ستين سنة بدلاً من ثلاث وستين سنة .. وكذلك الأمر في تأويل الخمس ، فقيل عاش عليه الصلاة والسلام خمساً وستين سنة بدلاً من ثلاث وستين ، وبالتالي يكون النبي عليه الصلاة والسلام قد لبث في مكة خمس عشرة سنة متأولة عن ثلاث عشرة .. حيث قالوا : إن من عادة العرب إلغاء الكسر وجبره ..

.. هذا التأويل إما أن يكون بهدف إظهار حقيقة لم ترد في صياغة هذه الروايات ، كما يتصورون ، وبذلك يكونون - حقاً - خادمين لسنة الرسول عليه الصلاة والسلام ، ونكون ضالين مضلين نحاول إبعاد المسلمين عن سنة الرسول عليه الصلاة والسلام ... وإما أن يكونوا قد جندوا أنفسهم لخدمة منهج وضع التاريخ بديلاً عن منهج الله تعالى ، وذلك عبر التلبيس على الروايات المتناقضة غير الصحيحة ، لإيهام المسلمين أنها صحيحة ، وبالتالي يكونون قد ضللوا الناس وخدعواهم ، وبالتالي أساءوا إلى سنة الرسول عليه الصلاة والسلام ..

.. ولذلك .. ما هو السبيل إلى معرفة الضال المضل المسيء إلى سنة الرسول عليه الصلاة والسلام ؟ ..

.. للجواب على هذا السؤال لا نحتاج إلا إلى النظر في الحديث التالي من صحيح مسلم ، حديث ( 4341 ) حسب ترقيم العالمية ..

[ وَحَدَّثَنَا ..... عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ أَقَامَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِمَكَّةَ خَمْسَ عَشْرَةَ سَنَةً ، يَسْمَعُ الصَّوْتِ وَيَرَى الصَّوْءَ سَبْعَ سِنِينَ وَلَا يَرَى شَيْئًا ، وَثَمَانَ سِنِينَ يُوحَى إِلَيْهِ ، وَأَقَامَ بِالْمَدِينَةِ عَشْرًا ] ..

.. حسب هذا الحديث فإن السنوات الخمس عشرة التي أقام بها النبي عليه الصلاة والسلام في مكة هي خمس عشرة دون زيادة أو نقصان ، وليست متأولةً عن ثلاث عشرة كما ذهبوا في تأويلهم للروايات الأخرى ، فقول ابن عباس في هذا الحديث : (( يَسْمَعُ الصَّوْتِ وَيَرَى الصَّوْءَ سَبْعَ سِنِينَ وَلَا يَرَى شَيْئًا ، وَثَمَانَ سِنِينَ يُوحَى إِلَيْهِ )) ، يبين لنا أن الخمس عشرة سنة هي سبع سنين كان فيها النبي عليه الصلاة والسلام يسمع الصوت ويرى الضوء فقط ، وثمان سنين يوحى إليه ..

.. فكلُّ العاقلين من البشر يُدركون أنّ : [ 15 = 8 + 7 ] .. وأيُّ تأويلٍ يقلب هذه المعادلة لتصبح على الشكل : [ 7 + 8 = 13 ] هو خروجٌ ليس فقط عن منهج الله تعالى وسنة رسوله عليه الصلاة والسلام ، وإنما - أيضاً - خروجٌ على ثوابتِ العقل والإدراك التي يتميِّزُ بهما الإنسان عن الحيوان ..

.. فهل نخدم سنة الرسول عليه الصلاة والسلام حينما نتأولُ تأويلاً لا يقبله عقلٌ ولا منطقٌ ؟ ، أم أننا بذلك نخدمُ عصبيَّاتنا المذهبيَّة والطائفيَّة ؟ ، وبالتالي نسيءُ إلى سنة الرسول عليه الصلاة والسلام عَجْرَ جَعَلِ الروايات التاريخية المتناقضة سنةً ننسبها إلى الرسول عليه الصلاة والسلام ؟ .. أترك الإجابة لكلِّ من يعتقد أنّ : [ 15 = 8 + 7 ] ، لا لمن يعتقد أنّ : [ 13 = 8 + 7 ] ..

.. وهذه مسألةٌ أخرى .. لننظر إلى الحديثين التاليين في صحيح البخاري ..

صحيح البخاري .. حديث رقم ( 4615 ) حسب ترقيم العالمية ..

[ حَدَّثَنَا ..... سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ خُذُوا الْقُرْآنَ مِنْ أَرْبَعَةٍ مِنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ وَسَالِمٍ وَمُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ وَأُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ ] ..

صحيح البخاري .. حديث رقم ( 4618 ) حسب ترقيم العالمية ..

[ حَدَّثَنَا ..... قَالَ قَالَ عَبْدُ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَاللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ غَيْرُهُ مَا أَنْزَلْتُ سُورَةَ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ إِلَّا أَنَا أَعْلَمُ أَيْنَ أَنْزَلْتُ وَلَا أَنْزَلْتُ آيَةً مِنْ كِتَابِ اللَّهِ إِلَّا أَنَا أَعْلَمُ فِيمَ أَنْزَلْتُ وَكَلِمَةً مِنْ كِتَابِ اللَّهِ تَبَلَّغَهُ إِلَّا بِلِ كَرَكَيْتِ إِلَيْهِ ] ..

.. إذن يُوصي الرسول عليه الصلاة والسلام بأخذ القرآن الكريم من عبد الله بن مسعود ، ومن أبي بن كعب ، ويُقسمُ عبد الله بن مسعود أنه أعلم الأمة في كتاب الله تعالى ، فكلُّ سورةٍ يعلمُ أين أنزلت ، وكلُّ آيةٍ يعلمُ فِيمَ أنزلت ، وبالتالي لا يُمكنُ لعبد الله بن مسعود ( ولا لأبي بن كعب ) أن يغفل عن انتماء سورتين من القرآن الكريم إلى القرآن الكريم ..... لننظر إلى الأحاديث التالية ..

صحيح البخاري .. حديث رقم ( 4594 ) حسب ترقيم العالمية ..

[ حَدَّثَنَا ..... قَالَ سَأَلْتُ أُبَيَّ بْنَ كَعْبٍ عَنْ الْمُعَوَّذَتَيْنِ فَقَالَ سَأَلْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ قِيلَ لِي فَقُلْتُ فَخَضُّنْ نَقُولُ كَمَا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ] ..

صحيح البخاري .. حديث رقم ( 4595 ) حسب ترقيم العالمية ..

[ حَدَّثَنَا ..... قَالَ سَأَلْتُ أَبِي بِنِ كَعْبٍ قُلْتُ يَا أبا الْمُنْذِرِ إِنَّ أَحَاكَ ابْنَ مَسْعُودٍ يَقُولُ كَذَا وَكَذَا - المقصود بكذا وكذا : أن المعوذتين<sup>(\*)</sup> ليستا من كتاب الله تعالى - فَقَالَ أَبِي سَأَلْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ لِي قِيلَ لِي فَقُلْتُ قَالَ فَنَحْنُ نَقُولُ كَمَا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ] ..

مسند أحمد .. حديث رقم ( 20244 ) حسب ترقيم العالمية ..

[ حَدَّثَنَا ..... قَالَ قُلْتُ لِأَبِي بِنِ كَعْبٍ إِنَّ ابْنَ مَسْعُودٍ كَانَ لَا يَكْتُبُ الْمَعُودَتَيْنِ فِي مُصْحَفِهِ فَقَالَ أَشْبَهْتُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَخْبَرَنِي أَنَّ جَبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ لَهُ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ فَقُلْتُهَا فَقَالَ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ فَقُلْتُهَا فَنَحْنُ نَقُولُ مَا قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ..... ] ..

مسند أحمد .. حديث رقم ( 20245 ) حسب ترقيم العالمية ..

[ حَدَّثَنِي ..... قَالَ كَانَ عَبْدُ اللَّهِ يَحْكُ الْمَعُودَتَيْنِ مِنْ مَصَاحِفِهِ وَيَقُولُ إِنَّهُمَا لَيْسَتَا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى قَالَ الْأَعْمَشُ وَحَدَّثَنَا عَاصِمٌ عَنْ زُرِّ عَنْ أَبِي بِنِ كَعْبٍ قَالَ سَأَلْنَا عَنْهُمَا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ قِيلَ لِي فَقُلْتُ ] ..

.. إننا نرى أن اختيار عبد الله بن مسعود وأبي بن كعب لیتتم الدس على لسانهما ، ليس اختياراً عشوائياً .... حسب هذه الروايات الموضوعية على لسان عبد الله بن مسعود وأبي بن كعب ، فإن المعوذتين ليستا من كتاب الله تعالى ، هذا ما تقوله هذه الروايات دون أن تُضيف إليها معاني من جيوبنا ، فكيف إذن يُمكن لمسلم عاقلٍ يحترم كتاب الله تعالى أن يقول بصحة هذه الروايات ؟ !!! ..

.. هل الذي يُقدِّسُ سنة رسول الله عليه الصلاة والسلام وكتاب الله تعالى ( القرآن الكريم ) ، هو من يقول بصحة هذه الروايات ، أم هو الذي يقول بعدم صحتها ؟ !!! .. وأي تأويل هذا الذي من المُمكن تصديقه ، في إبهام الناس ( الذين يُقدِّسون كتاب الله تعالى ) أن هذه الروايات صحيحة ، يُخرُج من الملة من لا يؤمن بمصداقيتها كأيمانه بكتاب الله تعالى ؟ !!! ..

.. إذا كان أعلم من في الأمة بكتاب الله تعالى ، لا يعلم أن المعوذتين<sup>(\*)</sup> من كتاب الله تعالى ، ( كما يُزعم في الأحاديث التي رأيناها ) ، ويبررون ذلك بتأويلات لا يقبلها منطق ولا عقل ، فكيف إذن يجزمون جزءاً قاطعاً بالثقة الكاملة حينما يأخذون

(\*) ورد في كتاب ( فتح الباري في شرح صحيح البخاري ) النص التالي فيما يخص هذا الحديث :

[ ..... رأيت التصريح به في رواية أحمد عن سفيان ولفظه : ( قلت لأبي إن أحاك يحكها من المصحف ) ، وكذا أخرجه الحميدي عن سفيان ومن طريقه أبو نعيم في ( المستخرج ) ، وكأن سفيان كان تارة يصرح بذلك وتارة يهمله .. وقد أخرجه أحمد أيضاً وابن حبان من رواية حماد بن سلمة عن عاصم بلفظ : (( إن عبد الله بن مسعود كان لا يكتب المعوذتين في مصاحفه )) ..... ] ..

(\*) هذه المسألة تعرض لها - ولغيرها - الشيخ محمد الغزالي في كتابه ( تراثنا الفكري ) ... ففي الصفحة ( 147 ) من هذا الكتاب يقول : [ ومن المرويات السخيفة أن يُجازف شخصٌ بإثبات آثار تمس القرآن الكريم ، بل إنني أعد ذلك من السفه المنكور .. أليس من المضحك أن يُنسب إلى ابن مسعود أنه أنكر كون المعوذتين من القرآن الكريم ؟ .. أتبلغ الحفاوة بالمرويات النافهة هذا الحد من الخساسة ؟ !! .. أحياناً يُخيّل إلي أن أصحاب المساند جمعوها أولاً مسوداتٍ تضم كل ما قيل ، على أن يمحوا منها بعد ذلك الأساطير ، ثم ماتوا قبل أن يتموا أعمالهم ! .. ]

( من بعض الأحاديث ) بعض الأحداث الجانبية من رجالٍ آخر ، تلك الأحداث التي لا يعلمها إلا أولئك الرجال ؟ !!! ..  
 فبناءً على تأويلاتهم ، أين هو المعيار الذي يتم من خلاله الجزم بالنقل الحرفي لتلك الأحداث غير هؤلاء الرجال ؟!!!! ..  
 .. وحتى القرآن الكريم ذاته لم يسلم من محاولات الدس الهادفة إلى تحريفه ، وإلى تشويه قدسيته .. لننظر إلى الأحاديث التالية ..

صحيح البخاري .. حديث ( 4563 ) حسب ترقيم العالمية ..

[ حَدَّثَنَا ..... قَالَ قَدِمَ أَصْحَابُ عَبْدِ اللَّهِ عَلَى أَبِي الدَّرْدَاءِ فَطَلَبَهُمْ فَوَجَدَهُمْ فَقَالَ أَيُّكُمْ يَقْرَأُ عَلَى قِرَاءَةِ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ كُنْتُ  
 قَالَ فَأَيُّكُمْ أَحْفَظُ فَأَشَارُوا إِلَى عَلْقَمَةَ قَالَ كَيْفَ سَمِعْتَهُ يَقْرَأُ وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى قَالَ عَلْقَمَةُ وَالذِّكْرُ وَالْأَنْثَى قَالَ أَشْبَهْتُ أَنِّي سَمِعْتُ  
 النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقْرَأُ هَكَذَا وَهَؤُلَاءِ يُرِيدُونِي عَلَى أَنْ أَقْرَأَ وَمَا خَلَقَ الذِّكْرَ وَالْأَنْثَى وَاللَّهُ لَا أَتَابُهُمْ ] ..

صحيح البخاري .. حديث رقم ( 4145 ) حسب ترقيم العالمية ..

[ حَدَّثَنِي ..... سَمِعَ ابْنَ عَبَّاسٍ يَقْرَأُ وَعَلَى النَّدِينِ يُطَوِّفُونَهُ فَلَا يُطِيقُونَهُ فِدْيَةَ طَعَامِ مِسْكِينٍ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ لَيْسَتْ بِمَنْسُوحَةٍ  
 .. [ ..... ] ..

صحيح مسلم .. حديث رقم ( 998 ) حسب ترقيم العالمية ..

[ وَحَدَّثَنَا ..... قَالَ أَمَرْتَنِي عَائِشَةُ أَنْ أَكْتُبَ لَهَا مِصْحَفًا وَقَالَتْ إِذَا بَلَغْتَ هَذِهِ الْآيَةَ فَادْنِي حَافِظُوا عَلَيَّ الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ  
 الْوَسْطَى فَمَا بَلَغْتَهَا آذَنْتَهَا فَأَمَلْتُ عَلَيَّ حَافِظُوا عَلَيَّ الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوَسْطَى وَصَلَاةِ الْعَصْرِ وَقَوْمُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ قَالَتْ عَائِشَةُ  
 سَمِعْتَهَا مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ] ..

ومن أمثلة ذلك ما جاء في مسند أحمد ، حديث ( 25112 ) : (( حَدَّثَنَا ..... عَنْ عَائِشَةَ زَوْجِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَتْ لَقَدْ أَنْزِلَتْ  
 آيَةُ الرَّجْمِ وَرَضَعَاتُ الْكَبِيرِ عَشْرًا فَكَانَتْ فِي وَرَقَةٍ تَحْتَ سَرِيرٍ فِي بَيْتِي فَلَمَّا اشْتَكَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَشَاغَلْنَا بِأَمْرِهِ وَدَخَلَتْ ذُوْبِيَّةُ  
 لَنَا فَأَكَلَتْهَا )) ..

قال العماري : هذا أثرٌ شاذٌ منكرٌ ، شديد النكارة ، لأن نسخ التلاوة محال ، كما بينته في جزء ذوق الحلاوة ..

ثم من المنكر الذي لا يعقل أن تدخل شاة البيت وتأكل ورقة فيها قرآن ولا يعلم أحد ، هذا من الباطل المردود قطعاً ، ولو جوزنا أن تأكل شاة  
 ورقة فيها قرآن منسوخ على رأي من يجيز النسخ لجاز أن تأكل ورقة فيها قرآن غير منسوخ ، فترتفع الثقة بالقرآن كله ، لأنه قد يكون أكل منه  
 شيء ، والله تعالى يقول : ( **إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ** ) ( الحجر : 9 ) .. [ .. ] ..

.. وقد ورد في التفسير الكبير للفخر الرازي ، الجزء الأول ، صفحة : 222 - 223 ، النص التالي بما يخص هذه المسألة : [ ... نقل في  
 الكتب القديمة أنّ ابن مسعود كان يُنكر كون سورة الفاتحة من القرآن ، وكان ينكر كون المعوذتين من القرآن ، وأعلم أنّ هذا في غاية الصعوبة ،  
 لأننا إنّ قلنا إنّ النقل المتواتر كان حاصلاً في عصر الصحابة بكون سورة الفاتحة من القرآن ، فحينئذ كان ابن مسعود عالماً بذلك ، فإنكاره  
 يُوجب الكفر أو نقصان العقل . وإن قلنا إنّ النقل المتواتر في هذا المعنى ما كان حاصلاً في ذلك الزمان ، فهذا يقتضي أن يُقال إنّ نقل القرآن  
 ليس بمتواتر بالأصل ، وذلك يُخرج القرآن عن كونه حجة يقينية . والأغلب على الظن أنّ نقل هذا المذهب عن ابن مسعود نقلٌ كاذب باطل ،  
 وبه يحصل الخلاص عن هذه العقدة ... ] ..

صحيح البخاري .. حديث رقم ( 5957 ) حسب ترقيم العالمية ..

[ حَدَّثَنِي ..... سَمِعْتُ ابْنَ عَبَّاسٍ يَقُولُ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ لَوْ أَنَّ لابْنَ آدَمَ مِثْلَ وَادٍ مَالًا لَأَحَبَّ أَنْ لَهُ إِلَيْهِ مِثْلَهُ وَلَا يَمْلَأُ عَيْنَ ابْنِ آدَمَ إِلَّا التُّرَابُ وَيَتُوبُ اللَّهُ عَلَى مَنْ تَابَ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ فَلَا أُدْرِي مِنَ الْقُرْآنِ هُوَ أَمْ لَا قَالَ وَسَمِعْتُ ابْنَ الزُّبَيْرِ يَقُولُ ذَلِكَ عَلَى الْمَنْبَرِ ] ..

.. كيف تُحذف كلمتا ( **وَمَا خَلَقَ** ) من الآية الكريمة ( **وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنثَى** ) ( الليل : 3 ) ؟ !!! .. وكيف تُستبدلُ العبارة القرآنيَّةُ .. ( **وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ** ) ( **طَعَامُ مَسْكِينٍ** ) ( البقرة : من الآية 184 ) بالعبارة ( **وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فَلَا يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مَسْكِينٍ** ) ؟ !!! .. وكيف تُستبدلُ العبارة القرآنيَّةُ ( **حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ** ) ( البقرة : 238 ) بالعبارة ( **حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى وَصَلَاةِ الْعَصْرِ وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ** ) ؟ !!! ..

كيف يمكننا أن نتصوّر أن ابنَ عباسٍ وابنَ الزبير [ وغيرهما ( كأنس بن مالك ) كما ورد في رواياتٍ أخرى في الصحاح ] يحفظون نصوصاً لا يعلمون هل هي من القرآن الكريم أم لا ؟ !!

.. يؤوّلون ذلك فيقولون هذه قراءاتٌ تفسيريةٌ !!! ... أيّ تأويلٍ هذا ؟ !!! .. إذا كان من يُنسبُ على لسانه أنه لا توجدُ كلمتا ( **وَمَا خَلَقَ** ) في الآية الكريمة ( **وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنثَى** ) يقول ( في هذه الروايات ) : [ أَشْهَدُ أَنِّي سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقْرَأُ هَكَذَا وَهُوَ لَا يُرِيدُونِي عَلَى أَنْ أَقْرَأَ وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنثَى وَاللَّهُ لَا أَتَابِعُهُمْ ] ؟ !!! .. أيّ قراءةٍ تفسيريةٍ هذه التي تحذفُ بعضَ الكلماتِ من كتابِ الله تعالى ؟ !!! .. وإذا كانت القراءة التفسيرية تقتضي حذفَ هاتين الكلمتين ( **وَمَا خَلَقَ** ) ، فلماذا وضعهما الله تعالى في كتابه الكريم ؟ !!! .. فما هو هذا التفسير الذي لا يكون إلا بإصرار المُفسّر على حذفِ كلماتٍ من النصِّ المُفسّر ؟ !!!! ..

.. وإذا كان ابنُ عباسٍ يقولُ عن العبارة المنسوبة إليه [ **وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فَلَا يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مَسْكِينٍ** ] ليست بمنسوخة ، وعائشة تقولُ [ **حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى وَصَلَاةِ الْعَصْرِ وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ قَالَتْ عَائِشَةُ سَمِعْتَهَا مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** ] ؟ !!! .. فأيّ قراءةٍ تفسيريةٍ هذه التي يتحدثون عنها ؟ !!! ..

.. التأويلُ السليمُ الهادفُ إلى معرفة حقيقة دلالاتِ النصِّ المؤوّل ، لا يكون بإضافة معاني من جيوبنا لتحميلِ صياغةِ النصِّ ما لا تحتل .. فهناك فارقٌ بين التأويلِ الحقِّ الذي ينطلقُ من صياغةِ النصِّ للوصولِ إلى دلالاتٍ لا تتناقضُ مع ظاهرٍ ما يحمله النصُّ من دلالاتٍ ومعانٍ ، وبين التحايلِ الفاضحِ على دلالاتِ النصِّ لتحميله ما لا يحتمل ، وطمسِ الدلالاتِ الحقيقيَّةِ التي يحملها ظاهرُ صياغته ، لإثباتِ عصبيّاتٍ مذهبيَّةٍ على حسابِ المنهجِ والعقلِ والمنطقِ ..

.. وهذه مسألةٌ أخرى .. في الآية الكريمة .. ( **وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُجُوبٍ** ) ( ق : 38 ) .. وفي غيرها ، يؤكّدُ اللهُ تعالى أنَّ السماواتِ والأرضَ وما بينهما خُلقتُ في ستةِ أيامٍ ، وليس في سبعة .. لننظر إلى الحديث التالي كيف يحملُ دلالاتٍ تُناقضُ هذه الحقيقة القرآنيَّةَ ..



صحيح مسلم .. حديث رقم ( 4997 ) حسب ترقيم العالمية ..

[ حَدَّثَنِي ..... عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ أَخَذَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِيَدِي فَقَالَ خَلَقَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ التُّرْبَةَ يَوْمَ السَّبْتِ وَخَلَقَ فِيهَا الْجِبَالَ يَوْمَ الْأَحَدِ وَخَلَقَ الشَّجَرَ يَوْمَ الْاِثْنَيْنِ وَخَلَقَ الْمَكْرُوهَ يَوْمَ الثَّلَاثَاءِ وَخَلَقَ النَّوْرَ يَوْمَ الْأَرْبَعَاءِ وَبَثَّ فِيهَا الدَّوَابَّ يَوْمَ الْخَمِيسِ وَخَلَقَ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ بَعْدَ الْعَصْرِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فِي آخِرِ الْخَلْقِ فِي آخِرِ سَاعَةٍ مِنْ سَاعَاتِ الْجُمُعَةِ فِيمَا بَيْنَ الْعَصْرِ إِلَى اللَّيْلِ ..... ] ..

.. ولننظر إلى الحديث التالي ، حتى نرى بأم أعيننا كيف تتمُّ الإساءة لعظمة الصياغة القرآنيَّة ، من خلال تقديمها صياغةً يستطيعُ البشرُ الإتيانَ بمثلها ، وينطقُ بها البشرُ قبل نزولها من السماء ..

صحيح البخاري .. حديث رقم ( 4535 ) حسب ترقيم العالمية ..

[ حَدَّثَنَا ..... عَنْ أَنَسٍ قَالَ قَالَ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ اجْتَمَعَ نِسَاءُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الْغَيْبَةِ عَلَيْهِ فَقُلْتُ لَهُنَّ : عَسَى رَبُّهُ إِنْ طَلَّقَكُنَّ أَنْ يُبَدِّلَهُ أَزْوَاجًا خَيْرًا مِنْكُنَّ ، فَنَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ ] ..

.. ولننظر إلى الحديثين التاليين ، حتى نرى بأم أعيننا كيف يتمُّ الكفرُ بدلالاتِ عشراتِ الآياتِ القرآنيَّةِ الكريمة ، التي تُبينُ أنه لا تَرُورُ وَازِرَةٌ وَرُزْرُ أُخْرَى ، وأنه لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى ، وأنَّ الإنسانَ لا يُجزى إلاَّ بعمله ..

صحيح مسلم .. حديث رقم : ( 4971 ) حسب ترقيم العالمية ..

[ حَدَّثَنَا ..... عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ يَجِيءُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ نَاسٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ بِذُنُوبٍ أَمْثَالِ الْجِبَالِ فَيَغْفِرُهَا اللَّهُ لَهُمْ وَيَضَعُهَا عَلَى الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى ..... ] ..

صحيح مسلم .. حديث رقم ( 4969 ) حسب ترقيم العالمية ..

[ حَدَّثَنَا ..... قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا كَانَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ دَفَعَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ إِلَى كُلِّ مُسْلِمٍ يَهُودِيًّا أَوْ نَصْرَانِيًّا فَيَقُولُ هَذَا فِكَأَكُّكَ مِنَ النَّارِ ] ..

.. إنَّ صياغةَ الحديثين واضحةٌ بيّنة ، وكلُّ محاولات إظهار صحة هذين الحديثين وموافقتيهما لدلالاتِ كتابِ الله تعالى ، لا سبيل لها عند من يُدرِكُ الحدَّ الأدنى من قواعدِ اللغةِ العربيَّةِ ويملكُ ذرَّةً من عقلٍ أو منطق ..

.. والإساءة - في بعض الروايات - تطالُ النبيَّ عليه الصلاة والسلام ، وزوجاته رضي الله تعالى عنهنَّ ..... لننظر إلى الحديث التالي

من صحيح مسلم ، حديث رقم ( 4975 ) حسب ترقيم العالمية ..

[ حَدَّثَنِي ..... عَنْ أَنَسٍ أَنَّ رَجُلًا كَانَ يُتَّهَمُ بِأَمِّ وَلَدِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِعَلِيٍّ إِذْ هَبَ فَاضْرِبْ عُنُقَهُ فَأَتَاهُ عَلِيٌّ فَإِذَا هُوَ فِي رَكْبِي يَتَبَرَّدُ فِيهَا فَقَالَ لَهُ عَلِيٌّ اخْرُجْ فَنَآوَلَهُ يَدُهُ فَأَخْرَجَهُ فَإِذَا هُوَ مَجْبُوبٌ لَيْسَ لَهُ ذَكْرٌ فَكَفَّ عَلِيٌّ عَنْهُ ثُمَّ أَتَى النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّهُ كَمَجْبُوبٍ مَا لَهُ ذَكْرٌ ] ..

.. وهذا نقلٌ حرفيٌّ من شرح النووي ( باب براءة حرم النبي صلى الله عليه وسلم من الريبة ) ، فيما يخصُّ هذا الحديث :

(( ذكر في الباب حديث أنس أن رجلاً كان يتهم بأم ولدته صلى الله عليه وسلم ، فأمر علياً - رضي الله تعالى عنه - أن يذهب يضرب عنقه ، فذهب فوجده يغتسل في ركبتي ، وهو البئر ، فراه مجبواً فتركه ، قيل : لعله كان منافقاً ومستحقاً للقتل

بطريق آخر , وجعل هذا محرماً لقتله بنفاقه وغيره لا بالنزأ , وكف عنه عليّ - رضي الله تعالى عنه - اعتماداً على أن القتل بالنزأ , وقد علم انتفاء النزأ . والله تعالى أعلم )) ..

.. من الواضح وضوح الشمس وسط النهار أن التأويل : (( قيل : لعله كان منافقاً ومستحقاً للقتل بطريق آخر , وجعل هذا محرماً لقتله بنفاقه وغيره لا بالنزأ , وكف عنه عليّ - رضي الله تعالى عنه - اعتماداً على أن القتل بالنزأ , وقد علم انتفاء النزأ . والله تعالى أعلم )) .. هذا التأويل .. هروب من الاعتراف بحقيقة عدم صحة هذا الحديث .. فصياغة الحديث واضحة بيّنة ، ولا يوجد فيها ما يشير إلى هذا التأويل ..

.. فعليّ رضي الله تعالى عنه - كما هو وارد في نصّ الحديث - كفّ عن المتهّم لأنه محبوب ليس له ذكر ، لا لسبب آخر ، فلو لم يكن المتهّم محبوباً ، ولو لم يكن يتبرّد ، لذهب عنقه في خبر كان .. (( فَأَخْرَجَهُ فَإِذَا هُوَ مَجْبُوبٌ لَيْسَ لَهُ ذِكْرٌ فَكَفَّفَ عَلِيٌّ عَنْهُ )) .. ولا يوجد - في صياغة الحديث - سبب لقتله إلا أن المتهّم : (( كَانَ يُتَّهَمُ بِأَمْرٍ وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ )) .. واستحقاق المتهّم للقتل بطريق آخر مسألة لا وجود لها أبداً في صياغة الحديث ، ولا حتى في يقين واضح هذا التأويل ، فالعبارة القرآنيّة (( قيل : لعله كان ..... )) في بداية هذا التأويل ، تؤكد أن التأويل تصوّر وضع - دون أيّ دليل - من أجل عدم الاعتراف بصحة الحديث .. لذلك فالتأويل الذي رأيناه لإظهار الحديث على أنه حديث صحيح هو استخفاف بعقولنا ..

.. إن القول بعدم صحة هذا الحديث ، وبعدم صحة تأويله ، هو انتصار للحقّ ، وللجنة الشريفة ، ولكرامة النبيّ عليه الصلاة والسلام ، ولكرامة زوجته رضي الله تعالى عنهن ، وللعقل والمنطق ..

.. وإن القول بصحة وبصحة تأويله ، هو إساءة للجنة الشريفة ، وللنبيّ عليه الصلاة والسلام ، ولزوجاته رضي الله تعالى عنهن ، واستخفاف بالعقل والمنطق ..

.. ولننظر إلى الحديث التالي من صحيح البخاري رقم : ( 4853 ) حسب ترقيم العالمية :

[ حَدَّثَنَا ..... قَالَ خَرَجْنَا مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّى انْطَلَقْنَا إِلَى حَائِطٍ يُقَالُ لَهُ الشُّوْطُ حَتَّى انْتَهَيْنَا إِلَى حَائِطَيْنِ فَجَلَسْنَا بَيْنَهُمَا فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اجْلِسُوا هَاهُنَا وَدَخَلَ وَقَدْ أَتَيْتِ بِالْجَنُوبِيَّةِ فَأَنْزَلَتْ فِي بَيْتٍ فِي نَجْلِ فِي بَيْتِ أُمِّمَةَ بَيْتِ النُّعْمَانِ بْنِ شَرَاهِيلَ وَمَعَهَا دَائِيَّتُهَا حَاضِيَةٌ لَهَا فَلَمَّا دَخَلَ عَلَيْهَا النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ هَبِي نَفْسِكَ لِي قَالَتْ وَهَلْ تَهَبُ الْمَلِكَةَ نَفْسَهَا لِلشُّوْقَةِ قَالَ فَأَهْوَى بِيَدِهِ يَضَعُ يَدَهُ عَلَيْهَا لِتَسْكُنَ فَقَالَتْ أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْكَ فَقَالَ قَدْ عُدْتِ بِمَعَادٍ ثُمَّ خَرَجَ عَلَيْنَا فَقَالَ يَا أَبَا أُسَيْدٍ أَكْسَهَا رَازِقِيَّتَيْنِ وَأَلْحَقَهَا بِأَهْلِهَا ..... ] ..

.. والتأويلات التي لبّست على هذه الرواية لإيهام الناس بصحتها ، تزيد من الإساءة للنبيّ عليه الصلاة والسلام ، ولزوجاته رضي الله تعالى عنهن .. فصياغة هذه الرواية - كما نرى - لا تحمل للنبيّ عليه الصلاة والسلام إلا الإساءة .. ولا يمكن لمن يصفه الله تعالى بقوله : ( **وَإِنَّكَ لَعَلَى خَلْقٍ عَظِيمٍ** ) ( القلم : 4 ) ، أن يقترب من الفعل الذي نراه في ظاهر صياغة هذه الرواية ..

.. ولننظر إلى الاختلاف الواضح بين الحديثين التاليين ..

صحيح البخاري .. حديث رقم ( 553 ) حسب ترقيم العالمية ..

[ حَدَّثَنَا ..... عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ نَهَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ صَلَاتَيْنِ بَعْدَ الْفَجْرِ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ وَبَعْدَ الْعَصْرِ حَتَّى تَغْرُبَ الشَّمْسُ ] ..

صحيح البخاري .. حديث رقم ( 557 ) حسب ترقيم العالمية ..

[ حَدَّثَنَا ..... عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ رُكْعَتَانِ لَمْ يَكُنْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَدْعُهُمَا سِرًّا وَلَا عَلَانِيَةً رُكْعَتَانِ قَبْلَ صَلَاةِ الصُّبْحِ وَرُكْعَتَانِ بَعْدَ الْعَصْرِ ] ..

ولننظر إلى النص التالي ، من كتاب فتح الباري في شرح صحيح البخاري ، الذي يحاولون من خلاله تبرير هذا الاختلاف : [ قول عائشة ( ما تركهما حتى لقي الله عز وجل ) ، وقولها ( لم يكن يدعهما ) ، وقولها ( ما كان يأتيني في يوم بعد العصر إلا صلى ركعتين ) ، مُرادها من الوقت الذي شغل عن الركعتين بعد الظهر فصلاهما بعد العصر ، ولم ترد أنه كان يُصلي بعد العصر ركعتين من أول ما فرضت الصلوات مثلاً إلى آخر عمره ..... ] ..

من أين أتوا بهذا التأويل ؟ !!! .. فهل في صياغة الحديث ما يُشير إلى تأويلهم ؟ !!! .. وإذا كانت صياغة الحديث تحمل تأويلهم هذا ، فمن المؤكد أنه يمكنها أن تحمل أي قصة من قصص الرسوم المتحركة ..

.. وهل هناك من استخفافٍ بدلالات كلمات هذا الحديث ، وبعقولنا ، كهذا الاستخفاف ؟ .. أليس القول بعدم صحة بعض الأحاديث - في الصحاح - أفضل بكثيرٍ من هذه التأويلات ؟ .. ولننظر إلى الأحاديث التالية ..

صحيح مسلم .. حديث رقم ( 4118 ) حسب ترقيم العالمية ..

[ حَدَّثَنَا ..... عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لَا عَدْوَى وَلَا هَامَةَ وَلَا نَوَاءَ وَلَا صَفَرَ ] ..

صحيح البخاري .. حديث رقم ( 5328 ) حسب ترقيم العالمية ..

[ حَدَّثَنِي ..... سَمِعَ أَبَا هُرَيْرَةَ بَعْدَ يُقُولُ قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَا يُورِدَنَّ مُمْرِضٌ عَلَيَّ مُصْحِحٌ وَأَنْكَرَ أَبُو هُرَيْرَةَ حَدِيثَ الْأَوَّلِ قُلْنَا أَلَمْ تُحَدِّثْ أَنَّهُ لَا عَدْوَى فَرَطْنَ بِالْحَبَشِيَّةِ ..... ] ..

صحيح مسلم .. حديث رقم ( 4117 ) حسب ترقيم العالمية ..

[ وَحَدَّثَنِي ..... قَالَ أَبُو سَلَمَةَ كَانَ أَبُو هُرَيْرَةَ يُحَدِّثُهُمَا كِلَيْتَهُمَا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثُمَّ صَمَتَ أَبُو هُرَيْرَةَ بَعْدَ ذَلِكَ عَنْ قَوْلِهِ لَا عَدْوَى وَأَقَامَ عَلَيَّ أَنْ لَا يُورِدُ مُمْرِضٌ عَلَيَّ مُصْحِحٌ قَالَ فَقَالَ الْحَارِثُ بِنُ أَبِي دُبَابٍ وَهُوَ ابْنُ عَمِّ أَبِي هُرَيْرَةَ قَدْ كُنْتُ أَسْمَعُكَ يَا أَبَا هُرَيْرَةَ تُحَدِّثُنَا مَعَ هَذَا الْحَدِيثِ حَدِيثًا آخَرَ قَدْ سَكَتَ عَنْهُ كُنَيْتَ تَقُولُ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَا عَدْوَى فَأَبَى أَبُو هُرَيْرَةَ أَنْ يَعْرِفَ ذَلِكَ وَقَالَ لَا يُورِدُ مُمْرِضٌ عَلَيَّ مُصْحِحٌ فَمَا رَأَى الْحَارِثُ فِي ذَلِكَ حَتَّى غَضِبَ أَبُو هُرَيْرَةَ فَرَطْنَ بِالْحَبَشِيَّةِ فَقَالَ لِلْحَارِثِ أَنْتَ دَرِي مَاذَا قُلْتَ قَالَ لَا قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ قُلْتُ أَبَيْتُ قَالَ أَبُو سَلَمَةَ وَلَعَبْرِي لَقَدْ كَانَ أَبُو هُرَيْرَةَ يُحَدِّثُنَا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لَا عَدْوَى فَلَا أَدْرِي أَنَسِي أَبُو هُرَيْرَةَ أَوْ نَسَخَ أَحَدُ الْقَوْلَيْنِ الْآخَرَ ..... ] ..

.. المشكلة ليست في إنكار أبي هريرة لقوله الذي نسبته إلى الرسول عليه الصلاة والسلام [ لا عدوى ] ، بمقدار ما هي في تأويلهم لقول أبي هريرة [ لا عدوى ] .. لننظر إلى النص التالي من كتاب شرح الإمام النووي لصحيح مسلم ، الذي كُتِبَ لتبرير الاختلاف الذي نراه ..

[ قال جمهور العلماء : يجب الجمع بين هذين الحديثين ، وهما صحيحان ، قالوا : وطريق الجمع أن حديث ( لا عدوى ) المراد به نفي ما كانت الجاهلية تزعمه وتعتقده أن المرض والعاية تعدي بطبعها لا بفعل الله تعالى ، وأما حديث ( لا يُورِدُ مُمْرَضٌ عَلَى مُصْحَحٍ ) فأرشد فيه إلى مجانبته ما يحصل الضرر عنده في العادة بفعل الله تعالى وقدره ، فنفي في الحديث الأول العدوى بطبعها ، ولم ينف حصول الضرر عند ذلك بقدر الله تعالى وفعليه ، وأرشد في الثاني إلى الاحتراز ممّا يحصل عنده الضرر بفعل إرادة الله تعالى وإرادته وقدرته ..... ] ..

.. إضافة إلى أن صياغة هذه الأحاديث لا تحمل تأويلهم لا من قريب ولا من بعيد ، كيف يشرحون قول أبي هريرة ( لا عدوى ) ويبررون اختلافه مع قوله ( لا يُورِدُ مُمْرَضٌ عَلَى مُصْحَحٍ ) ، وأبو هريرة ذاته أنكر هذا القول ، ووطن بالحشيّة حينما قيل له : إنك قلت قال الرسول عليه الصلاة والسلام ( لا عدوى ) ؟ !!! .... فبأي لغة سيرطن أبو هريرة لو قُدِّرَ له أن يخرج من قبره ويسمع تأويلهم الذي رأيناه ؟ !!! ..

ولا أريد الإطالة في عرض الأمثلة التي تبين أنه ليس كل ما في الصحاح صحيحاً ، فقد عرضت في كتاب (( الحق الذي لا يريدون )) مئات الأحاديث - من الصحاح - التي تُثبت صحة هذه الحقيقة ..  
.. ممّا سبق نستنتج الحقائق التالية :

[ 1 ] - السنّة الشريفه محفوظة من قبل الله تعالى ، شأنها بذلك شأن القرآن الكريم ، وهي ما تناقلته الأجيال حياةً تعبديّةً متحقّقةً عبر التاريخ لشعائر الدين كجزئيات فصلها الرسول عليه الصلاة والسلام لكليات النصّ القرآنيّ ، مثل جزئيات شعائر الصلاة ، وبالتالي هي ما أجمعت عليه الأمة إجماع عمليّ ، وإجماع حياةً تعبديّةً ، من أقصى السنّة إلى أقصى الشيعة ، وأتينا ليس عن طريق الروايات كما يتوهم الكثيرون ..

[ 2 ] - ليس كل ما في الصحاح صحيحاً ، وبالتالي لا بُدّ من أن نُعاير على كتاب الله تعالى نصوص الروايات التي بين أيدينا بتجرّد عن أيّ عصبيّة مُسبقة الصنع ، لمعرفة الموضوع من هذه الروايات ، ولفهم دلالاتها بشكل سليم ..

[ 3 ] - كلامنا هذا لا يعني - كما يفترى الجاهلون - إنكار كل ما جاء في الصحاح ، فكون بعض الأحاديث - في الصحاح - ليست صحيحةً ، لا يعني أبداً عدم صحّة كل ما جاء في هذه الصحاح .. فالقول بصحّة كل ما جاء في الصحاح ، لا يختلف أبداً عن القول بعدم صحّة كل ما جاء فيها ..

[ 4 ] - ليس كل ما قاله وفعله النبي عليه الصلاة والسلام سنّةً ، كما رأينا .. فعلينا إذن أن نتحرى ( على معيار كتاب الله تعالى ) من بين الروايات التي بين أيدينا ، ما عمّله الرسول عليه الصلاة والسلام كسنّة موحاة من الله تعالى ، يفصل عليه الصلاة والسلام بها كليات النصّ القرآنيّ ، وما عمّله النبي كبشرٍ دون أيّ وحي من السماء ، وذلك موافقةً لأهل الكتاب ومجاراةً لأعراف اجتماعية كانت سائدةً ، بانتظار نزول النصّ القرآنيّ المناسب ..

[ 5 ] - علينا أن نعلم أن إضافة الروايات المناقضة لكتاب الله تعالى ، وللمنطق والعقل المُفَعَّلين ضمن إطار إدراك دلالات كتاب الله تعالى ، إلى سُنَّة الرسول عليه الصلاة والسلام ، وخلق التأويلات الباطلة والتبريرات الساقطة لتبرير التناقض بين بعض الروايات ، هو - في النهاية - قفز فوق سُنَّة الرسول عليه الصلاة والسلام ، وفوق منهج الله تعالى ، واستبدال لهذه السنة الشريفة بتاريخ لا علاقة له بمنهج الله تعالى لا من قريب ولا من بعيد ، وهو إغراق للأمة في مستنقع الجهل ، ودفع لفكرها إلى مذبح يزيد من تشرذمها وتمزقها المذهبي ..

.. فحتى نُخرج فكر الأمة من الحلقة المفرغة التي ما زلنا ندور فيها منذ قرون ، وحتى نُوحِّد إرادة أبنائها ، وحتى نكون أهلاً لحمل منهج الله تعالى إلى البشرية ، لا بُدَّ من التقاء جميع مذاهبها ( فكراً وعقيدةً وفقهاً وتفسيراً لكتاب الله تعالى و ..... ) على معيار واحد هو كتاب الله تعالى ..

المهندس عدنان الرفاعي  
كاتب ومفكر إسلامي  
سورية - درعا - تلشهاب

هاتف منزل : 00963 15 252300

هاتف جوال : 00963 955 252300

[www.thekr.net](http://www.thekr.net)

Email : [adnan@thekr.net](mailto:adnan@thekr.net)